المحاضرة السادسة: نماذج من الكتابات الاجنبية الفرنسية في العهد الاستعماري المتعلقة بالمقاومة الوطنية خلال القرن 19م

- "سيمون بفايفر" وكتابه "مذكرات جزائرية عشية الاحتلال: عاش "بفايفر" في مدينة الجزائر في قصر الخزناجي، اشتغل سنتين في مطبخه، ثم أصبح طبيبه الخاص، يقدم لنا بفايفر في كتابه ملاحظاته ومشاهداته في الجزائر، وتعتبر الحقائق التي يرويها مرجعا أساسيا لبعض المسائل المتعلقة بظروف الاحتلال وملابساته ومقاومته.

-"بول ازان" وكتابه "الأمير عبد القادر 1808-1883، من التعصب الاسلامي الى المواطنة الفرنسية" : وهو كتاب أرخ لمقاومة الامير عبد القادر، ويترجم لنا العنوان الذي وضعه "ازان" حجم الخبث والمكر والخداع وكذا التضليل المقصود الذي يرمي اليه، والا كيف يعقل ان نصدق ان الامير عبد القادر ثار وحمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسي بسبب تعصبه الديني والعرقي، وهل يصدق العقل ان الامير عبد القادر أصبح مواطنا فرنسيا بعد ان وضع السلاح وسلم نفسه للفرنسيين.

-كتابات الضباط العسكريين:

-بيربروجر، ولد سنة 1801م وتنقل بين العديد من الدول الاوروبية، واشتغل باحثا ومدرسا شارك في اللجنة العلمية سنة 1837م، والتي كونتها الوزارة الحربية لاكتشاف الجزائر ومعرفة احوال اهلها. اسندت له مهمة ادارة مكتبة الجزائر حيث قام بالحاق متحف خاص بها سنة 1828م، ونتيجة علاقاته المميزة مع الكنيسة ارسل من قبل اسقف الجزائر في مهمة للتفاوض مع الامير عبد القادرمن اجل اطلاق سراح الاسرى سنة 1838م.جال في العديد من ارجاء الجزائر وعمل مراسلا ومحررا للعديد من الجرائد والمجلات، منها مجلة الشرق وجريدة الاخبار، وبدعم من الجنرال راندون اسس الجمعية التاريخية سنة 1856م وقلده الامبراطور نابليون الثالث وسام الشرف بعد زيارته للجزائر سنة 1863م.

اهتم بيربروجر بالوثيقة التاريخية اعتمادا على ماجمعه اثناء حملات احتلال الفرنسيين للمدن الجزائرية، فسار معها في البلاد شرقا وغربا، كالحملة على مدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837م، فوضع يده على مكتبتها ،كما استولى على مكتبة الامير المتنقلة اثناء حملة كلوزيل على معسكر سنة 1835م، حيث قام بجردها واهتم بترجمتها

تناول هذا الكاتب الضابط في مؤلفاته الجزائر وتاريخها الاقتصادي والسياسي والاداري والاجتماعي في الفترة الاولى من الاحتلال الفرنسي، اذ اهتم بالجانب الاجتماعي اكثر، حيث انه عالج موضوع العادات والتقاليد، ونجد هذه الكتب في المجلة الافريقية مقالات واخبار الجزائر، حيث جمعها وترجمها .

-المجلة الافريقية: هي اول جريدة اسستها الجمعية التاريخية الجزائرية، بدأت في الصدور سنة 1856م مرة كل شهرين، ثم اصبحت تصدر مرة كل ثلاثة أشهر ابتداء من العدد 190 الذي ظهر في الثلاثي الثالث لسنة

1888م، وتوقفت خلال الحرب العالمية الاولى(1914-1918م).واللغة المستعملة هي اللغة الفرنسية، وكان مقر الجمعية في بداية الامر المكتبة الوطنية الجزائرية، ثم تحولت الى كلية الاداب بالجزائر. ويعتبر الماريشال راندون الحاكم العام للجزائر في ذلك العهد، المؤسس والرئيس الشرفي للمجلة، والسيد ادريان بيربروجر، المدير الفعلي للمجلة. اهتمت المجلة بنشر دراسات مختلفة تتعلق بشمال افريقيا والمشرق، وقد شملت الدراسات التاريخ بجميع مراحله الى جانب الفن والاثار والكتابات المنقوشة، والجغرافيا والادب واللسانيات والسلالات، والحقوق والاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم الطبيعية وعلم الفلك والتنجيم والمناخ والارصاد الجوية...

عاشت هذه المجلة اكثر من قرن في تاريخ الجزائر (1856-1962)، ورغم انها كانت تهدف الى خدمة الوجود الفرنسي والحضارة الغربية الا انها رغم ذلك قدمت خدمة جليلة للجزائر وللتاريخ الجزائري، حيث حافظت على اثارا وكتابات قيمة ودراسات علمية ممتازة يمكن للمؤرخين الجزائريين ان يستخلصوا منها بعد غربلتها العنصر الاساسي للتاريخ الجزائري.

تناولت المجلة الافريقية احداثا كثيرة ميزت المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال التقارير التي قدمها قادة الجيش الفرنسي، وما نقله الفرنسيون ممن عاصروا الاحداث ودونوا وقائع تلك المجابهات التي دارت بينهم وبين الثوار الجزائريين في مختلف مناطق الوطن.

ومن بين الانتفاضات الشعبية التي تناولتها المجلة الفريقية يمكننا ان نذكر مثلا (ثورة الشريف بوبغلة، المقاومة في بلاد القبائل، مقاومة عنابة، مقاومة احمد باي، مقاومة الامير عبد القادر، مقاومة الاغواط، مقاومة اولاد سيدي الشيخ، مقاومة المقراني...)

-لويس رين: اشتغل التقيب "لويس رين" مستشارا للحكومة العامة ونائبا لرئيس الجمعية التاريخية بالجزائر العاصمة، ورئيسا للمصلحة المركزية لشؤون الاهالي، مما سمح له الاطلاع اكثر على ثورة المقراني والشيخ الحداد، حيث كتب حول هذه الثورة مقالين في المجلة الافريقية سنتي 1887م-1891م، وكتب ايضا كتابا بعنوان "تاريخ ثورة 1871 بالجزائر"، صدر عام 1891م.

مايلاحظ من خلال كتابات "لويس رين" انه أرخ لثورة المقراني 1871م من خلال التأريخ لجهود الجيش الفرنسي ضدها، ومواقف السياسة الفرنسية اتجاهها، وهذا ما جعله يكاد يطمس موضوع الثورة الحقيقي وجهود زعمائها، ما عدا الذين فرضوا أنفسهم على الاحداث فرضا، ومع ذلك بذل جهده ليجعل الحديث عنهم هامشيا. فنعت قادة الثورة السياسيين بالاقطاعيين، وادعى انهم لم يثوروا لغاية وطنية، وانما تمردوا ضد السلطة للدفاع عن مصالحهم الشخصية، كما نعت قادتها الدينيين وعلى رأسهم الشيخ الحداد واخوانه الرحمانيين بالتعصب الديني والعرقي ضد المسيحيين. ونفى ان يكونوا قد ثاروا وحملوا السلاح من أجل تحرير بلادهم، وكل هذه الادعاءات الغرض منها هو افراغ المقاومة الجزائرية من محتواها.

-كتابات الرحالة: نذكر منهم:

-"البارون بواسيني": الذي قام بترجمة اشعار الامير عبد القادر، رشحته حكومته لمرافقة الامير عبد القادر بعد هزيمته سنة 1847م، كما قام بتشجيع المثقفين الفرنسيين الذين زاروا الجزائر بأن يكتبوا عنها في مذكراتهم.

-كتابات الشعراء: نذكر منهم

-"لامرتينو فينيه":تناول الشعراء قضية الحملة الفرنسية على الجزائر، فنقلوا بطولات ابطالهم ضد العرب المسلمين، وكانوا دائما يقدمون الدعم لجيشهم، وقد ظلوا صامتين عن اعمال الجيش الفرنسي التخريبية في الجزائر لكي لا يطلع الراي العام الفرنسي طبيعة حملتهم على الجزائر، فكان من بين كتاباته وصفه للحملات والمعارك مع الامير عبد القادر.

-كتابات الرواة: نذكر منهم:

-"هوقلورو": الذي كتب رواية تحت عنوان (رجل الساعة)، وهو يعني بها "الباشاغا الحاج محمد المقراني"، حيث تناول ثورة 1871م وشخصياتها بكل التفاصيل، وكانت روايات اخرى تسخر من رجال الدين الجزائريين ومن الثوار.

-الدراسات الفرنسية للزوايا والطرق الصوفية : حيث عملت السلطات الفرنسية منذ احتلالها للجزائر بالقيام بدراسة وافية وشاملة للزوايا والطرق الصوفية، معتبرة اياها المصدر الرئيسي الذي يحرك الجهاد في الجزائريين، وذلك بهدف القضاء عليها، ومن اهم انواع هذه الدراسات نجد:

01-الدراسات الشكلية: وهي الدراسة التي كلفت لها خبراء ذوي كفاءة لانجاز المهمة فقدموا شرحا كاملا عن الجوانب الشكلية لمثل هذه المؤسسات الاسلامية، وقد شملت دراستهم كل ما يتعلق بالزوايا والطرق الصوفية من مريدين ومصادر التمويل والرواد وغيرها.

02-الدراسة الضمنية: وهي الدراسة الدقيقة التي قام بها المكلفين بهذا العمل، حيث عملوا على الولوج الى جوهر المؤسسة ومعرفة كل نقطة سواء كانت كبيرة او صغيرة، والدراسات الضمنية جندت لها فرنسا افراد متخصصين ربما نستطيع ان نطلق عليهم لفظ الجواسيس أي قامت بزرع رؤوس تابعة لها في المؤسسات في حد ذاتها.

أهمية الكتابات الاجنبية الفرنسية : لم تكن هذه الدراسات الا جزءا من مخططات واستراتيجيات الاستعمار الفرنسي، ففرنسا قامت بهذا العمل من اجل ضرب المجتمع الجزائري في صميمه وهويته. والعمل على اقامة مشاريع ضده لتدميره بعد دراسة نقاط ضعفه وقوته، اما بالنسبة للجزائريين فهذه الدراسات تساعد في معرفة الوضع السابق، كما انها تنقل الينا بعض الحقائق التي تساعد الباحث او الدارس في اعداد بحثه.

أهمية الكتابات الفرنسية حول تاريخ المقاومة الجزائرية خلال الق 19م: تكمن اهمية الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر عموما وتاريخ المقاومة خلال القرن 19م بشكل خاص من خلال أنها تركت لنا رصيدا لا يستهان به من الدراسات والابحاث حول تاريخ المقاومة الجزائرية ومختلف المعارك لمواجهة المستعمر الفرنسي في كل

مكان يصل اليه، ما يمثل حقيقة مساهمة في اثراء المعرفة التاريخية خلال هذه المرحلة، فمختلف الدراسات المتعلقة بهذه الفترة نجدها تعتمد على مختلف هذه المصادر المهمة، مع الاشارة الى ضرورة التعامل معها بحذر شديد.